عـود حميـد(*)(١)

رجعنا، وخابَ المنـذر المتوعِّـدُ ... وعُدنا بعـونِ اللهِ، والعودُ أحمـدُ
خرجنا رجالاً يعرف الكلُّ بأسَهمْ ... وجِئنا وفي أضلاعِنا العزمُ مـوقدُ
ظُلِمنا فما لانَت لنا من عريكـةٍ ... ولا نالَ من أُسدِ الشرى المتأسدُ
فقولوا لِشيخِ السوءِ لا بورِكَ اسمه ... ولا عاشَ باسم العلمِ فينا يُقيِّدُ
أبالحقِّ أمْ بالزورِ تمشي هنا؟ وهل ... إلى العدلِ أو للظلمِ تهدي وتُرشد
وهلْ جئتَ شيخاً أم تُرى جئت غازياً ... فأنتَ على الطلابِ صخرٌ وجلمد(٢)
أفي شرعةِ الإسلامِ هذا الذي نرى ... من الجورِ ؟ أو هذا الأذى المتعمَّدُ
أمْ هـديُـهُ أن يحـرمَ العلمَ فتيـةٌ ... فهـذا أخو نـأيٍ وهـذا مشـرَّدُ ؟
ومـا كانَ منهمْ من أتى بجـريرةٍ ... ولا ساعةَ الإضرابِ مُدَّت لهم يَدُ(٣)
وأقسمُ لو شِئناهُ ما كنتَ بالـذي ... يكيـدُ لنا أو يعتَليـكَ المهنَّـدُ(٤)

(*) في يوم السبت ٢٢ نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٥٢ أصدرت إدارة المعهد منشوراً بإبعاد ثلاثة وثلاثين طالباً طوال العام الدراسي ـ وكنت من بينهم ـ وفي أول يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٥٣ عدنا إلى مواصلة الدرس فنظمت هذه القصيدة لهذه المناسبة. [الشاعر].

(١) وكان الشاعر قد أبعد مرتين حيث أشار في مذكراته ورسائله إلى ذلك. وورد في رسالة وردت له من أحد زملائه (ي . ن) بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٥٥ يهنئه بالعودة للمعهد ويقول له فيها «واستحلفك بالله إن استطعت أن لا تحضر الآن لأن الجو نحوكم لا زال فيه شيء من الاختبار» وهذا ينفي ما زعمه (الأستاذ حته) من أن إبعاد الشاعر كان في عهد الملكيـة.

(٢) الجلمـد : الصخـر.

(٣) يشير الشاعر إلى الإضراب الذي كان يتزعمه في معهد الزقازيق وطرد بعده.

(٤) وأقسم لـو شاءوه مـا تـراجعـوا ... ولـو كـان يحميـك الحسـام المهنـد
[في نسخة أخرى]

لحا الله أعواناً لئاماً تجمعوا ... هم الذئب عذراً والرياء المجسد

ترى بينهم من يرتدي زيَّ عالمٍ ... فقيهٍ وفي أثوابِهِ الجهلُ يرقدُ

وتحسبُهُ عندَ الملاقاةِ مصلحاً ... ولكنَّهُ فينا خبيثٌ ومفسِدُ

ذليلٌ يرى «زغلولَ» رباً مُعظماً ... يكاد له خوفاً يُصلي ويسجدُ[1]

وينصب فوقَ الرأسِ منهُ عَمامةً ... تشعُّ بياضاً بينما القلبُ أسود

ولم ألقهُ إلا خئُوناً وواشياً ... إلى منصبٍ بالدسِّ يرمي ويقصِدُ

ويظهرُ فينا عالماً متعَبِّداً ... لقدْ ضلَّ هذا العالمُ المتعبِّدُ

يلومونَنا أن لم ندعْ عزمةٍ لنا ... ألا خابَ لاحينا وخابَ المفندُ[2]

لقدْ حرمونا حقبةً من دروسِنا ... فما خاننا أو غابَ عنا التجلُّدُ

وقالوا عن الإبعادِ: هذا عقوبةٌ ... ولَلبعدِ عنهم معشرِ السوءِ أسعدُ

فما سرَّني أنْ عدتُ للدرسِ ثانياً ... ولا ساءَني أن قيلَ: أنت مُبعدُ

تمرُّ بنا الأيامُ، والعهدُ بيننا ... على الثأرِ من جلادنا يتجدَّدُ

دَعِ الدهرَ يمضي، والليالي تنقضي ... فنحنُ على الأيامِ للقومِ رُصَّدُ

وإن كان هذا اليومُ قد ساءَ حظُّنا ... فصبراً إلى ما سوفَ يأتي بِه الغدُ

إذا نحنُ لمْ نثأر لما قد أصابنا ... فلا ضمَّنا في حجرةِ الدرسِ معهدُ[3]

..*.*.*

---

(١) يشير إلى تعصب بعضهم إلى سعد زغلول، وهذه بداية وعي للشاعر حيث يتخلص من الولاءات والتعصب.

(٢) اللاحي : اللائم . المفنـد : المكذب.

(٣) لقد نشرت هذه القصيدة بالديوان المطبوع بإشراف وزارة التربية والتعليم تحت عنوان «عودة» وهي مؤلفة من /١٣/ بيتاً هي على الترتيب الأبيات: (١ ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥).

وهناك بعض التغيير في الأبيات كما يلي:

الثالث : فما أوهن الإبعاد منا عريكـة.

السادس : اجئت عميداً ؟ أم ترى جئت غازياً.

التاسع : فما كان منا من أتى بجريرة ولا ساعة الإضراب مدت لنا يد =